في خضم استراتيجية "احتضان ابن السماء لقيادة أمراء الحرب" السائدة، لماذا تجرأ يوان شو على إعلان نفسه إمبراطورًا؟

في عام 197 ميلادي، أعلن يوان شو نفسه إمبراطورًا في شوتشون واتخذ اسم العصر "تشونغ شي". بدا هذا الإجراء مفاجئًا تمامًا في سياق عالم أواخر عهد أسرة هان المضطرب—ففي ذلك الوقت، كان أمراء الحرب الرئيسيون مثل تساو تساو ويوان شاو يروّجون جميعًا للشرعية السياسية القائمة على "احتضان ابن السماء لقيادة أمراء الحرب"، لكن يوان شو خالف هذا التيار، وأسس علنًا مركزًا سياسيًا منافسًا. وراء هذا العمل الذي بدا مجنونًا كانت تكمن حسابات استراتيجية دقيقة.

لم تكن طموحات يوان شو وليدة يوم. لقد بنى أساسًا نظريًا باستخدام نظرية "دورة الفضائل الخمس"، مدعيًا أن عشيرة يوان تنحدر من الإمبراطور شون، وتنتمي إلى فضيلة الأرض، وبالتالي تمتلك المؤهلات لخلافة فضيلة النار لأسرة هان. علاوة على ذلك، استشهد بالنبوءة في نصوص الطوالع: "من سيحل محل هان هو الشخص الرفيع من دانغ تو"، ولفق أن اسمه المجاملة "غونغ لو" يتصل بكلمة "تو" من خلال حرف "لو"، مقنعًا نفسه بأنه هو المختار بالتفويض السماوي. بالإضافة إلى ذلك، بعد حصوله على الختم الإمبراطوري المتوارث عبر الأجيال، الذي كان سون جيان قد حصل عليه أثناء فتح لويانغ، اعتقد يوان شو أن كلاً من "التفويض السماوي" و"الشؤون البشرية" كانا مستعدين تمامًا إلى جانبه.

الأكثر أهمية، في عام 197، امتلك يوان شو القوة الفعلية لتحدي العالم. في ذلك الوقت، كان يسيطر على ثلاث مقاطعات—يانغ ويو وشو—التي شملت 11 منطقة إدارية، مع قوة عسكرية تقدر بحوالي 200,000 جندي، الأكبر بين جميع أمراء الحرب. على النقيض، كان تساو تساو يسيطر على مقاطعة يان وجزء من مقاطعة يو مع حوالي 50,000 جندي؛ كان يوان شاو يحكم اسميًا أربع مقاطعات ولكن كانت له سيطرة فعلية محدودة

وحوالي 100,000 جندي؛ قاد ليو بيو ست مناطق إدارية في مقاطعة جينغ مع حوالي 100,000 جندي. من حيث الأراضي والقوة العسكرية، كان يوان شو أقوى قوة إقليمية. علاوة على ذلك، كان كبرياؤه بنسبه كسليل مباشر لعشيرة روانان المرموقة—عائلة نبيلة من "أربعة أجيال من الدوقات الثلاثة"—غذى أحلامه الإمبراطورية؛ حتى أنه احتقر أخاه غير الشقيق يوان شاو، المولود من محظية، ووصفه بـ"عبد المنزل"، مع كون هذا الشعور بالتفوق العائلي دافعًا لطموحاته.

لكن البصيرة الحقيقية لاستراتيجية يوان شو كانت تكمن في فهمه لـ"نافذة الوقت". في عام 197، كان أمراء الحرب في العالم منخرطين في صراع فوضوي: كان يوان شاو منخرطًا في معركة حاسمة مع غونغسون تزان في هبي ولم يكن لديه وقت فراغ للجنوب؛ هُزم تساو تساو على يد تشانغ شيو في معركة وان كاسل، وفقد ابنه الأكبر تساو أنغ والقائد الشرس ديان وي، مما أجبره على التعافي؛ كان ليو بيو مشغولًا بالصراعات العشائرية الداخلية في مقاطعة جينغ وافتقر إلى القدرة على القيام بحملات خارجية. بينما كان كل طرف يعاني من أزماته الخاصة، تشكلت "منطقة آمنة" تمكن يوان شو من التحرك فيها دون عوائق.

اتبعت خطة يوان شو نموذج تشين المتمثل في "التحالفات مع الدول البعيدة والهجمات على الدول القريبة"، بهدف استغلال هذه الفترة الفاصلة لتعزيز قاعدته في منطقة جيانغ هواي، ومثل تشين الذي وحد الدول الست، هزيمة القوى الأخرى واحدة تلو الأخرى بالقوة الساحقة. ومع ذلك، قلل بشدة من تقدير قوة "الشرعية السياسية" في أوقات الفوضى. إعلانه نفسه إمبراطورًا حوله فورًا إلى الهدف الرئيسي، مما وحد قوى متحاربة مثل تساو تساو ولو بو وليو بي وسون تسي تحت راية "قمع المتمرد" الصالحة.

في غضون عامين فقط، انهار "أقوى أمراء الحرب" السابق تمامًا وسط المصاعب الداخلية والخارجية والانشقاقات. لم ينبع فشل يوان شو من نقص القوة بل من سوء قراءة منطق العصر. لقد وثق بقوة الواقع العسكري والنسب بشكل أعمى، متجاهلاً أنه على الرغم من تراجع أسرة هان، إلا أن سلطتها الرمزية كانت لا تزال تحمل معنى عميقًا. في عصر أصبح فيه "احتضان ابن السماء لقيادة أمراء الحرب" بالفعل التيار السياسي السائد، أدت محاولته معارضة "الأرثوذكسية" الناشئة بـ"الطوالع" القديمة إلى فشل هذه المقامرة الاستراتيجية بالكامل.

هل كان تساو تساو حقاً رجلاً متعطشًا للذبح؟

في عصر الممالك الثلاث، كانت ممارسة "ذبح المدينة" دائمًا أرضًا خصبة للجدل بين محبي الممالك الثلاث، وتتركز النقاشات حتمًا حول تساو تساو.

ما يعلق في أذهان الكثيرين هو كيف قام تساو تساو مرتين بذبح مدينة شو تشو انتقامًا لموت والده. هذا مسجل في النصوص التاريخية، حيث تذكر الروايات أن الجثث كانت كثيرة لدرجة أنها سدت الأنهار.

ومع ذلك، فإن عمليات ذبح المدينة المنسوبة إلى قوات وي التابعة لتساو في التواريخ تزيد عن سبع مرات.

فهل تم ذبح أعداد كبيرة من المدنيين العاديين في كل هذه الحالات؟

هذا هو جوهر النقاش. قبل عهد أسرة تانغ، لم تكن كلمة "ذبح" تعني بالضرورة مجزرة المدنيين. في الأصل، كان استعارة تشبه سقوط المدينة بذبح خنزير، وكان المعنى الأساسي هو "الاستيلاء على المدينة".

دعونا نلقي نظرة على بعض الأمثلة النموذجية. ليو بانغ "ذبح" شيانيانغ، وليو شيو "ذبح" قرية تانغزي، وغينغ يان "ذبح" ثلاثمائة مدينة، وهوانغ غاي مسجل عنه "ذبح" مدينة. كل هذه تُمدح كإنجازات عسكرية

مجيدة. لا يمكن لمؤرخي ذلك الزمان أن يعترفوا بقتل الناس كإنجاز، ناهيك عن الإبادة الكاملة لسكان ثلاثمائة مدينة، وهو أمر غير واقعي ببساطة.

وبالتالي، فإن العديد من عمليات "ذبح المدينة" التي قامت بها قوات وي كانت في المقام الأول مصطلحات تشير إلى حقيقة أنهم "استولوا على المدينة". من ناحية أخرى، كان ذبح شو تشو تفصيلًا إضافيًا سُجل بشكل منفصل عن ذبح المدينة.

على الأرجح، لأن التواريخ أضافت تفاصيل عن مقتل عشرات الآلاف من المدنيين أثناء حملة تساو تساو على شو تشو، تعاملت التواريخ اللاحقة تدريجيًا مع "ذبح المدينة = مجزرة المدنيين" كمرادف.

بالطبع، هذا ليس القول بأن جميع عمليات "ذبح المدينة" في عصر الممالك الثلاث لم تكن مجازر للدفاع عن تساو تساو. بعد كل شيء، لقد قتل بالفعل الكثير من الناس.

في معركة غواندو، ذكر بوضوح أن تساو تساو دفن جنود يوان شاو المستسلمين أحياء. تقول إحدى الروايات أن عدد القتلى بلغ ثمانين ألفًا، وهو ثاني أكبر رقم بعد الشخصية التاريخية باي تشي من حيث الحجم، وربما تجاوز حتى دوان تشيونغ (الذي قاد حملة ضد تشيانغ في نهاية هان اللاحقة) أو هوانغفو سونغ (الذي هزم العمائم الصفراء وبنى تلًا من الرؤوس). وفقًا لـ"سيرة يوان شاو"، تظاهر هؤلاء الجنود بالاستسلام، ولهذا تم إعدامهم.

مسألة ما إذا كان ينبغي إعدام الذين يتظاهرون بالاستسلام. المعركة النهائية لـ وو تقدم مثالًا جيدًا. تحت ضغط من قوات دانيانغ، استسلم تشانغ تشياو من جين مع سبعة آلاف رجل. اخترق تشوغو جينغ الخطة واقترح دفنهم أحياء، لكن رئيس الوزراء تشانغ تي عارض ذلك. في النهاية، هاجم هؤلاء الجنود المستسلمون البالغ عددهم سبعة آلاف من الخلف، مما أدى إلى هزيمة وو الكاملة.

في الحقيقة، قتل الجنود المستسلمين لا يتعلق بإفراز الغضب أو المتعة الشخصية؛ في معظم الحالات، هو تكتيك لتخويف الأعداء في المستقبل وجعلهم يتخلون عن المقاومة.

أعرب يو جين وتشنغ يو عن نفس الرأي: أولئك الذين يستسلمون فقط بعد أن يتم حصارهم لا ينبغي العفو عنهم (أي يجب إعدامهم). ذكر تشنغ يو صراحة أن ذلك كان لإظهار القوة للعالم.

ومع ذلك، مع استقرار العالم تدريجيًا، اعتقد تشنغ يو أن هذه السياسة يجب أن تتغير، وقبل تساو تساو ذلك. في معركة هو لاو غوان، أمر تساو تساو في البداية أنه بمجرد سقوط المدينة، سيتم دفن كل من فيها أحياء. ثم اشتدت مقاومة العدو. عندما اقترح تساو رين "ترك طريق للهروب"، استسلم هو لاو غوان على الفور. بعد ثلاث عشرة سنة، سُجل أن تساو رين "ذبح" وان تشنغ، لكن بالطبع، لم يذبح جميع المدنيين والجنود. كان المتمردون جزءًا منهم فقط.

هذا لا يعني أن تساو وي توقفت عن القتل للتخويف. دفن سيما يي سبعة آلاف من جنود غونغ يوان أحياء، وبنى دينغ آي تلًا من الرؤوس. وفي الوقت نفسه، في معركة شوتشون، استسلمت قوة وو قوامها عشرة آلاف. بقيت عائلاتهم في وو، مما شكل خطرًا كبيرًا للتمرد، لذلك نشأ اقتراح بدفنهم جميعًا أحياء. لكن سيما تشاو منحهم في النهاية أرضًا وسمح لهم بالبقاء. كان تفكيره حديثًا بشكل ملحوظ: "إذا عادوا إلى وو، فإن كرمنا سينتشر على نطاق واسع."

في أي عصر، لا تكون معاملة الأسرى موحدة. لا تمليها قواعد الوقت، بل حكم القائد.

أخيرًا، ملاحظة: كان لقوات تساو وي قاعدة غير مكتوبة، معترف بها رسميًا، وهي الإبلاغ عن قتل الأعداء بعشرة أضعاف العدد الفعلي للإعلان عن المآثر. هذه الحقيقة مسجلة في "سيرة غو يوان".

"ليلة الدمار" التي عاشها تساو تساو في يان تشو: لماذا انقلب عليه "المستثمرون الملائكيون"؟

في عام 194 ميلادي، كانت تلك الفترة حقًا أحلك فترة في حياة تساو تساو. قبل عام واحد فقط، كان قد استوعب 300,000 من قطاع الطرق الصفر المستسلمين لتشكيل "جيش تشينغ تشو"، وكان قد استولى للتو على السيطرة على يان تشو الخصبة. ومع ذلك، بسبب خيانة مفاجئة، انهارت أراضيه في لحظة، ولم يتبق له سوى ثلاث مدن معزولة: جوان تشنغ، وفان شيان، ودونغ آي. حتى تشانغ ميا و ("المستثمر الملائكي" الذي أوصى به سابقًا كحاكم ليان تشو) وتشن غونغ (الاستراتيجي الذي أقنع المقاطعات المختلفة) تآمروا مع لو بو للإطاحة بتساو تساو. لم تكن هذه مجرد صراع على السلطة، بل كانت النتيجة الوحشية لصراع شرس بين قائد عسكري غريب والقوى الأرستقراطية المحلية.

كانت يان تشو ذات قيمة استراتيجية هائلة. كمركز رئيسي في السهول الوسطى، كانت تحدها من الشمال مقاطعة جي التالية ليوان شاو ومن الجنوب مقاطعة شو التالية لتاو تشيان؛ كانت ذات كثافة سكانية عالية ومنطقة حبوب حيوية. وبسبب كونها "أرض أربع جبهات قتال"، كان الشاغل الأكبر للأقطاب المحلية هو "الدفاع عن النفس". تم قبول تساو تساو في البداية لأنه كان يُنظر إليه على أنه "مدير محترف" لحمايتهم من فلول العمائم الصفراء والأعداء الخارجيين. علقت فصيلة المؤيدة للاستسلام، بقيادة باو شين، آمالها على البراعة العسكرية لتساو تساو، بينما دعمته الفصيلة المحلية بقيادة تشانغ ميا و للحفاظ على توازن القوى.

ومع ذلك، مع تضخم قوة تساو تساو، تحطم هذا التوازن الدقيق. بعد تشكيل جيش تشينغ تشو، تحول من قائد ضيف كان عليه مراقبة وجوه الآخرين إلى حاكم يعتزم السيطرة الكاملة على يان تشو. لتعزيز سيطرته، دفع بثلاث سياسات جذرية داست على محظورات الأقطاب. أولاً، على الجبهة الاقتصادية، "إلغاء الإقطاع": فرض بصرامة "قانون ضد تجاوزات العشائر الكبرى"، وصادر بالقوة أراضي الأقطاب لصالح المزارع العسكرية، مما قطع أسسهم الاقتصادية. ثانيًا، "تطهير دموي" سياسي: بدعوى "اختيار الموهوبين فقط"، رفع شخصيات منخفضة المولد مثل ماو جيه، ويو جين، وديان وي، بالإضافة إلى مساعديه المقربين، مما قضى

على نظام التوصية الذي احتكره الأقطاب. ثالثًا، "تطهير" جسدي: أعدم العالم البارز بيان رانغ بتهمة "عدم الاحترام"، مما أخاف المعارضة.

هذا السلوك - الذي يشبه "قتل الحمار بعد أن أنهى مهمته" (التخلص من الحلفاء بعد أن يصبحوا عديمي الجدوى) - أثار خوفًا عميقًا في نفوس مؤيديه السابقين. كان تشن غونغ يعتزم استخدام تساو تساو لطرد العمائم الصفراء، فقط ليدرك أنه استدعى ذئبًا أكثر شراسة. تشانغ مياو، الذي عارض يوان شاو، خشي أن تساو تساو - حليف يوان شاو - الذي يصبح قويًا جدًا سيؤدي إلى تطهيره هو نفسه. في تلك اللحظة بالذات، قاد تساو تساو قواته الرئيسية في حملة إلى مقاطعة شو، تاركًا مؤخرة يان تشو دون دفاع. اغتنم تشن غونغ هذه الفرصة. "الآن العالم منقسم؛ إنه عار أن تمتلك ألف لي من الأرض ومع ذلك يسيطر عليها تساو تساو"، هكذا أقنع تشانغ مياو، وأطلق انقلابًا لاستقبال لو بو.

قوات النخبة من سلاح الفرسان التابع للو بو، بالإضافة إلى موارد الأقطاب المحلية، أبيدت حامية تساو تساو في لحظة. بين عشية وضحاها، انهارت مؤسسة تساو تساو، مما أوصله إلى موقف يائس جعله يتساءل: "أيها الجنرال، أين يجب أن تعود؟"

هذا التمرد غيّر بشكل أساسي فلسفة تساو تساو في الحكم. لقد طرد لو بو في النهاية من خلال القتال العنيد، لكن التجربة علمته أنه "بدون سلطة مطلقة، حتى الداعمين يمكن أن ينقلبوا في أي لحظة". بعد هذا الحادث، طهر تساو تساو معارضة يان تشو بالكامل بينما عزم على بناء نظام مركزي للغاية تحت راية "احتضان الإمبراطور لقيادة أمراء الحرب". لم يستطع انشقاق أقطاب يان تشو قتل تساو تساو، لكنه أصبح عاملًا غير مباشر في تشكيل شخصية وي وو وو اللاحقة القاسية والمرتابة.

تشنغ جي، تابع ليو بي، "لم يخن لا ليو تشانغ ولا ليو بي" - كيف يمكن تقييم حياته؟

في الرواق الغربي الهادئ لمعبد وو هو في تشنغدو، تقف أربعة عشر تمثالًا لمسؤولين مدنيين من شو هان بهدوء في صف واحد. العاشر بينهم هو شخصية غير معروفة على نطاق واسع للعالم - تشنغ جي. كان اسمه المجاملة جيران، وكان من لانغتشونغ في مقاطعة باكسي. على الرغم من أن اسمه لا يتردد عبر العصور مثل أسماء تشوغه ليانغ أو جيانغ وان، إلا أن حياته كانت مثل نصل انتُزع من غمده - سيف حاد، وسط فوضى الممالك الثلاث، واجه المصلحة الذاتية المنتشرة والتآمر بأكثر المواقف حزمًا، متمسكًا بالروح التي لا تلين لـ"العالم" الحقيقي. الفصل الأخير من حياة تشنغ جي محفور في معركة ييلينغ في السنة الثانية من تشانغو (222 ميلادي). كان ذلك حدثًا أثناء الانسحاب المأساوي الذي أعقب هجوم لوشون الناري، الذي حطم حلم ليو

بي في الانتقام وأسقط أكثر من أربعين معسكرًا من شو. كمساعد مقرب لليو بي وضابط مرافق للطقوس الأضحية برفقة الجيش، لم يفر تشنغ جي غربًا مع فلول المنهزمين. عندما اقترب المطاردون، حثه أحد إلى جانبه قائلاً: "قوات وو تقترب - اترك القارب بسرعة، اصعد إلى الشاطئ، وأنقذ حياتك." في هذه اللحظة على حافة الحياة والموت، تصلبت ملامح تشنغ جي، وأطلق صرخة سترددد عبر الأجيال: "بينما كنت في الجيش، لم أفر أبدًا من العدو. فكم بالأحرى، وأنا أتبع ابن السماء، يمكن أن أواجه الخطر وأهرب؟" لم تكن هذه الكلمات مجرد رفض، بل كانت تأكيدًا لمبادئه. لم يكد ينطق بها حتى أمسك سلاحه، ووقف متحديًا عند مقدمة القارب، وانقض على قوات وو القادمة. وسط الدوامات المتلاطمة، وصراخ القتال، رفض هذا المسؤول المدني المسن أن يتراجع خطوة واحدة، وأدار مطرده ليسقط الأعداء في تبادل للتدمير. قيل إن شجاعته كانت لدرجة أنه قلب سفينة معادية بأكملها. ومع ذلك، لم تستطع شجاعة فرد واحد إنقاذ المعركة المتهاوية؛ محاصرًا ومغلوبًا على أمره، قاتل تشنغ جي حتى استنفدت قوته وهلك. سال دماؤه في نهر ييلينغ الهائج، محققًا بذلك حياة المثل الكونفوشيوسي: "عندما تُعهد إليه أمنية محتضر وتواجه محن الحياة العظيمة، لا يمكن انتزاعها." يُمدح تشنغ جي لأنه "لم يخن لا ليو تشانغ ولا ليو بي" لأن ولاءه لم يكن أعمى بل كان متجذرًا في شخصية مستقلة قائمة على الصواب والمبدأ. خلال حكم ليو تشانغ لإي تشو، خدم تشنغ جي كرئيس لهان تشانغ. في ذلك الوقت، كان بانغ شي، حاكم باكسي، خائفًا من تمرد تشاو وي، فسعى إلى جمع جيش خاص عن طريق تجنيد شعب يي الشجعان قسرًا. ضد هذا العمل غير القانوني الذي أمر به بانغ شي الذي أساء استخدام السلطة، وقف تشنغ جي ثابتًا في رفضه. حتى عندما أخذ بانغ شي أقاربه كرهائن لتهديده، لم يتردد. بدلاً من ذلك، استشهد بقصة القائد المتحارب يوي يانغ الذي "تلقى حساءً مصنوعًا من لحم ابنه ومع ذلك واصل غزو تشونغشان"، معلنًا بذلك عزمه على التمسك بالقانون حتى على حساب عائلته. أذهل هذا الحادث إي تشو؛ على الرغم من أن ليو تشانغ عفا عن بانغ شي، إلا أنه اعتبر نزاهة تشنغ جي عالية وعينه حاكمًا لجيانغ يانغ. توضح هذه الحلقة بوضوح أخلاقياته المهنية كمسؤول محلي: عدم الخضوع لأي قوة، وعدم تشكيل فصائل، وحماية الحد الأدنى من القانون والعدالة حتى تحت تهديدات رئيسه. كان هذا أعظم واجب له تجاه ليو تشانغ. في السنة التاسعة عشرة من جيانآن، عندما دخل ليو بي إي تشو وخلف ليو تشانغ، تم تعيين تشنغ جي، كممثل للعلماء-المسؤولين المحليين في إي تشو، من قبل ليو بي كضابط مرافق للطقوس الأضحية. قدره ليو بي تقديرًا عاليًا، ولا شك أنه أدرك في هذا الرجل النادر الثبات والمبدأ ندرة في الأوقات المضطربة. في السنة الأولى من تشانغو، عندما حشد ليو بي قوى الدولة لحملة شخصية ضد وو، تبع تشنغ جي دون تردد. لم يكن غريبًا على مخاطر المعركة، ولا جاهلًا بالاستراتيجية العسكرية. لكنه فهم بعمق المبدأ: "إذا أكلت راتب سيدك، فيجب أن تتحمل هموم سيدك." عندما ارتفعت ألسنة اللهب في ييلينغ وكان مصير شو هان متوقفًا على حافة الهاوية، اختار تشنغ جي طريق مشاركة مصير سيده. كانت فرص البقاء على قيد الحياة كثيرة، لكنه اختار عمدًا طريق الفناء. بالنسبة له، كانت الحياة ثمينة، لكن العيش بكرامة ونزاهة كان القيمة العليا. شكل نبأ وفاته في المعركة ضربة لشو هان، لكنه كان أيضًا دفاعًا جادًا عن المعايير الأخلاقية في ذلك العصر. وضع الأجيال اللاحقة تمثاله في معبد وو هو ليس فقط لاستشهاده في خدمة الملك، ولكن لأنه جسد الروح المخلصة التي كان شو هان يقدسها. في عصر الممالك الثلاث المليء بالمكائد والخيانة - حيث تم تثبيت لو بو على عمود العار كخائن - نال تشنغ جي شهرة أبدية من خلال النزاهة الثابتة. لقد أثبت بحياته: في تيار التاريخ، فقط تلك الأرواح التي تجرؤ على الوقوف بحزم في اللحظات المحورية، والتي لا تبخل بالحياة لحماية معتقداتها، هي التي تتجاوز الزمن حقًا وتصبح خالدة.

ما مدى هائلة حجم غزو الجراد عام 194؟ لماذا غيّر نتيجة معركة يان تشو؟ لماذا لم تستطع يان تشو، منطقة إنتاج الحبوب، دعم سلاح فرسان لو بو؟ لماذا أصبحت هذه الكارثة الطبيعية شريان حياة تساو تساو؟

في المراحل المبكرة من معركة يان تشو، على الرغم من تلقيه دعمًا من يوان شاو، وجد تساو تساو نفسه في مستنقع من الجمود مع لو بو. كان هذا الجمود المطول استنزافًا قاتلًا لتساو تساو، الذي كانت لوجستياته قد استُنزفت بالفعل بسبب سنوات من الحملات في شو تشو. عند انسحابه من شو تشو عائدًا إلى يان تشو، تقلص موطئ قدمه إلى ثلاث مدن فقط: جوان تشنغ، وفان شيان، ودونغ آي. إن تحذير يو فان - "لقد تم حصد القمح في الشرق بالفعل، ومع سياسة الأرض المحروقة المعمول بها، يُترك الجنرال في انتظار. إذا لم نتمكن من اختراق دفاعاتهم أو الاستيلاء على الإمدادات من خلال النهب، ففي غضون عشرة أيام فقط، سيهلك جيش قوامه مائة ألف دون قتال" - لخص تمامًا يأس الوضع في ذلك الوقت. ما قلب مجرى المعركة لم يكن أي اشتباك حاسم، بل كارثة طبيعية معقدة استمرت أربع سنوات. من 194 إلى 197، اجتاح غزو جراد غير مسبوق حوض النهر الأصفر السفلي. تصفه السجلات التاريخية بأنه "امتد لآلاف اللي، والتهم كل شفرة من العشب وكل شجرة، حتى جرد الماشية والخيول من شعرها"، وكانت قوته التدميرية تفوق بكثير مجرد فيضانات أو جفاف. مضافًا إلى هذه الكارثة الطبيعية كانت الكارثة التي من صنع الإنسان لغزو أكثر من مليون متمرد من العمائم الصفراء في تشينغ تشو عام 192. قتل المتمردون الحاكم ليو داي، ونهبوا الطعام وأدوات الزراعة، وفككوا تمامًا أنظمة الإنتاج في المنطقة، تاركين السهول الوسطى - التي كانت تُعتبر "أرضًا خصبة

تتقاطعها الأنهار" والتي كانت بمثابة سلة خبز الإمبراطورية - خرابًا. علاوة على ذلك، كان المناخ في نهاية عصر هان الشرقية قد دخل العصر الجليدي الصغير: تجاوز سمك الجليد في الآبار في الشتاء شبرًا واحدًا (حوالي 30 سم)، وجلب الصيف رياحًا عاصفة باردة مثل منتصف الشتاء. أدت هذه الظواهر الجوية المتطرفة إلى فشل متتالي لمحاصيل الدخن لسنوات متتالية، مما أدى بالاقتصاد الزراعي الصغير إلى حلقة مفرغة من "المجاعة ← انخفاض عدد السكان ← الأراضي الزراعية المهجورة". في هذا الوضع الكارثي، أصبح سلاح فرسان لو بو من بينغ تشو أكثر الضحايا عرضة للخطر. كانت تكلفة صيانة الخيول في السهول الوسطى أكثر بعشر مرات مما كانت عليه على الحدود؛ فالحصان الحربي الواحد يستهلك حوالي 1.8 طن من العلف سنويًا - أي ما يعادل حصص 25 رجلاً بالغًا. وفقًا لسجل أسرة سونغ "تشون مو سي يان"، كانت رعي حصان واحد تتطلب 50 موًا (حوالي 4 هكتارات) من المراعي، وكانت الظروف في نهاية هان الشرقية متشابهة أو أسوأ على الأرجح. في يان تشو، التي تحولت إلى جحيم من أكل لحوم البشر بسبب تجاوزات العمائم الصفراء وغزو الجراد، لم تكن هناك قدرة متبقية لدعم عشرات الآلاف من خيول الحرب. عندما "ظهر الجراد، جاع عامة الناس بأعداد كبيرة، وحتى إمدادات لو بو من الحبوب جفت"، انهارت إمبراطوريته الفرسان في لحظة. مع موت خيولهم جوعًا، فُقدت القدرة على الحركة؛ تحول سلاح الفرسان الثقيل إلى مشاة بسيطة، وأصبحت تكتيكات الهجوم الخاطف التي اشتهرت بها قوات بينغ تشو غير مجدية تمامًا. في هذه الأثناء، بينما واجه تساو تساو نقصًا خطيرًا مماثلًا في الغذاء، نجا بفضل مرونة قواته الرئيسية، مشاة تشينغ تشو، التي كانت أكثر ملاءمة للحرب الطويلة. علاوة على ذلك، عزز تشنغ يو الحصص الغذائية بتقديم "يابسة بشرية" ولجأ إلى تكتيكات البقاء الوحشية في الأوقات المضطربة للحفاظ على قوته القتالية. والأهم من ذلك، أن غزو الجراد أجبر تساو تساو على اتخاذ الخيارات الاستراتيجية الصحيحة. ثنى شون يو بشدة عن غزو شو تشو، محذرًا من أن "قمح شو تشو قد تم حصاده بالفعل؛ لا يمكننا اختراق دفاعاتهم أو الاستيلاء على الإمدادات من خلال النهب"، وبالتالي تجنب فخ سياسة الأرض المحروقة لتاو تشيان. منع تشنغ يو أيضًا الاستسلام ليوان شاو، داعيًا إلى النفير مع "يوان شاو لديه طموح لابتلاع العالم لكنه يفتقر إلى الحكمة لتحقيق ذلك"، بينما حفز تساو تساو بعبارة "حتى في حالة خرابها، لا تزال يان تشو تحتفظ بثلاث مدن، مع أكثر من عشرة آلاف رجل صالح للقتال." ومن المفارقات، أن هذه الكارثة الطبيعية كانت بمثابة "مرشح استراتيجي" لتساو تساو. لقد قضت بلا رحمة على فرسان لو بو، الذين كانوا يعتمدون على الحركة، ولم تترك إلا أنظمة المشاة القادرة على تحمل حرب الاستنزاف. لقد قطعت خطوط إمداد لو بو وتشن غونغ وتشانغ مياو وحلفائهم، وشكلت قوات تساو تساو المحاصرة في جبهة موحدة وسط اليأس. اغتنامًا للحظة التي اضطر فيها لو بو إلى الانسحاب بسبب فقدان خيوله، شن تساو تساو هجومًا مضادًا بتشكيلات مشاة مدربة جيدًا وميزة التضاريس. رد الفعل المتسلسل هذا، الذي أطلقته حشرات صغيرة، لم يعكس مسار معركة يان تشو فحسب، بل وضع أيضًا الأساس لهيمنة تساو تساو اللاحقة، حيث "احتجاز ابن السماء كرهينة لقيادة أمراء الحرب". وجذر كل ذلك كان غزو الجراد العظيم عام 194، الذي التهم ليس فقط النباتات والماشية ولكن حتى مصير سلالة حاكمة.

الإمبراطور المراعي الذي أعلن نفسه "ملك فضيلة وو الشرقية": كيف أصبح يان بايهو فريسة لـ"الفاتح الصغير" صن تسي

في أواخر عهد هان الشرقية خلال عصر الممالك الثلاث، بينما كان تساو تساو يتنافس على الهيمنة في السهول الوسطى وليو بي يواصل رحلته المتجولة، كانت "معركة على العرش" ساخرة تجري في الأرض الواقعة جنوب نهر اليانغتسي. أحد الأبطال كان يان بايهو، الذي أطلق على نفسه لقب "ملك فضيلة وو الشرقية". كان في الأصل لصًا جبليًا من منطقة وو كوماندري صعد ليصبح زعيم عشيرة قوي، استغل فوضى

العالم، واعتمد على قوة عشيرته ليُكوّم الحجارة في "حصن" على جبل شيتشنغ في مقاطعة ووتشنغ، وأمر أكثر من عشرة آلاف جندي من رعاع الجنود، وأعلن نفسه ملكًا دون أي تفويض. علاوة على ذلك، كان لقبه ذاك الريفي بشكل ملحوظ والمتفاخر بغطرسة وهو "ملك فضيلة وو الشرقية". ومع ذلك، لم تدم أحلام هذا الوافد الجديد طويلاً، لأن الرجل الذي كان سيقطع حبل مصيره - "الفاتح الصغير" صن تسي - ظهر بعد فترة وجيزة.

في ذلك الوقت، صن تسي، الذي ورث طموحات والده صن جيان وكان يسعى لتأسيس هيمنة في جيانغدونغ، رأى في يان بايهو - المتجذر في المنطقة والمعذب للسكان - مجرد بقعة قبيحة في عينيه. احتقر صن تسي يان بايهو قائلاً: "يان بايهو ليس أكثر من لص قذر من الأعشاب، دون طموحات كبرى، لا يزيد عن طبق من الخضار (مجرد طبق)." ومع ذلك، لم يختف هذا "الخضار" بسهولة. قاد يان بايهو عشرة آلاف جندي، مستفيدًا من التضاريس ليحاصر نفسه في شيتشنغ، وعزز قواته أكثر بفلول حاكم وو كوماندري السابق شو غونغ، وهكذا اصطف ضد صن تسي.

منذ بداية الصراع، أدرك يان بايهو أنه لا يستطيع الفوز في هجوم أمامي، وهدف إلى حرب استنزاف ومفاوضات. أرسل شقيقه الأصغر يان يو إلى معسكر صن تسي لاقتراح هدنة. على الرغم من أن هذه كانت مجرد حيلة لكسب الوقت، إلا أنها أصبحت ساخرةً محفزًا لسقوطه. اخترق صن تسي حقيقة أن جماعات أمراء الحرب القائمة على العشائر تفتقر إلى التماسك الداخلي. أثناء المباحثات، تظاهر صن تسي باختبار شجاعة يان يو، ثم تشاجر معه، وقذفه شخصيًا بحربة يدوية فقتله. لم يصدم هذا العمل الوحشي قوات العدو فحسب، بل حطم معنويات معسكر يان بايهو تمامًا. بعد أن فقد شقيقه والدعامة الرئيسية، لم يعد بإمكان يان بايهو الصمود؛ فقاد جنوده المتبقين في التخلي عن شيتشنغ وبدأ رحلة يائسة للبقاء على قيد الحياة.

بعد أن تحول إلى فلول مهزومة، تجول يان بايهو في وو كوماندري قبل أن يفر إلى يوهانغ، حيث لجأ إلى الرجل الصالح المحلي شو تشاو. حث تشنغ بو، تابع صن تسي، على المطاردة والإبادة، واقترح القضاء على شو تشاو معه. ومع ذلك، في هذه اللحظة، أظهر صن تسي مستوى من الفطنة السياسية يفوق بكثير مستوى يان بايهو. معلنًا: "شو تشاو هو رجل ذو نزاهة عميقة (رجل نزيه)"، امتنع عن الضغط على شو تشاو وترك ليان بايهو خيطًا رفيعًا من الأمل. ومع ذلك، كانت نهاية يان بايهو محسومة بالفعل. وفقًا لتعليقات باي سونغتشي في "سجلات وو" و"سجلات جيانكانغ"، اختار يان بايهو المحاصر في النهاية الاستسلام لصن تسي. لكن بالنسبة لهذا الملك المزعوم السابق وعدوه اللدود، أظهر صن تسي رحمة لا. تم إعدام الفريسة المستسلمة في الحال.

سجل باي سونغتشي لاحقًا بنثر بارد ومنفصل: "أمثال تسو لانغ ويان هو كلهم تم أسرهم وإبادتهم بالكامل (تم أسرهم وتدميرهم بالكامل)." شكل موت يان بايهو نهاية أن صن تسي قد جرف القوى العنيدة الراسخة في وو كوماندري، واضعًا الأساس لحكمه على جيانغدونغ. أثبت "ملك فضيلة وو الشرقية" المتفاخر سابقًا، في النهاية، أنه لم يكن أكثر من نقطة انطلاق في طريق عشيرة صن نحو الهيمنة. تلاشت حياته كقصة تحذيرية، توضح كيف أن إعلان المرء "ملكًا" في عصر الاضطرابات دون طموحات كبرى لا يدعو إلا إلى تدمير الذات.

الحكيم الأعلى لهان اللاحقة الذي محي من الرواية : الرجل الذي دفن هان الشرقية بنفسه، لكنه لقي حتفه قبل الصعود مباشرة

المعرفة الشائعة تقول إن الفوضى العظيمة في نهاية هان اللاحقة بدأت باستدعاء هي جين لدونغ تشو إلى لويانغ، أو بصرخة متمردي العمائم الصفراء "السماء ماتت". ومع ذلك، في وسط الرياح الدامية للتواريخ الرسمية، كانت عين العاصفة الحقيقية قد تشكلت بهدوء قبل فترة طويلة من ذلك الضجيج. في المقدمة المضطربة ولكن المنتقاة لـ"رومانسية الممالك الثلاث"، يظهر ليو يان للحظة عابرة فقط كـ"حاكم مقاطعة يو" بالكاد محدد. يُعامل مثل "نقاط خبرة" أو حشوة خلفية لإعطاء ليو بي فرصة لكسب مزايا عسكرية وقمع العمائم الصفراء، ويخرج من المسرح بعد منحه favor عمه الخيري لمنصب صغير كملاذ آمن لليو بي. ولكن إذا جردنا قناع الرواية وتعمقنا في التواريخ الرسمية "كتاب هان اللاحقة" و"سجلات الممالك الثلاث"، يتضح أنه بينما كان هي جين يتردد بشكل غير حاسم في قصر لويانغ بشأن إبادة الخصيان، وكان دونغ تشو يشحذ سيوفه في مقاطعة ليانغ، كان ليو يان قد قيم الوضع ببرودة منذ فترة طويلة. لقد رأى من خلال غرق هذه السفينة العظيمة الحتمي، ودون تردد، أعد قارب النجاة الخاص به.

لم يكن ضحية سلبية جرفتها فوضى العصر، بل كان واحدًا من أوائل الاستراتيجيين النشطين فيها. على الرغم من كونه من أقارب العشيرة الشرعيين لبيت هان الإمبراطوري الحائز على رتبة الوزراء التسعة الرفيعة، كان يعرف جيدًا أن ازدهار لويانغ لم يكن سوى الهدوء قبل العاصفة. الاقتراح الذي قدمه للإمبراطور لينغ بـ"إلغاء

المفتشين وإنشاء حكام المقاطعات" لم يكن مجرد إجراء مؤقت، بل كان مقامرة سياسية بنيت على سنوات من التخطيط. بهذه الضربة الواحدة "قلبت السماء والأرض رأسًا على عقب"، تم تفويض سلطة التعيينات والقيادة العسكرية - التي كانت مركزية ذات يوم - إلى المقاطعات إلى الأبد، مما ضخم سلطة الحكام وجعل الحكم المركزي اسمًا فارغًا. بدون اقتراح ليو يان، لكان الصراع بين هي جين والخدم العشرة قد انتهى كمهزلة بلاطية فقط، ولم يكن بإمكان دونغ تشو أبدًا إخضاع أمراء الحرب بهذه السهولة. انهيار هان اللاحقة تم هندسته بهدوء على يد ليو يان نفسه.

اغتنامًا لهذه الذريعة، تطوع للتوجه إلى مقاطعة يي، بعيدًا عن مرأى الإمبراطور. في الرواية، هذا السفر غربًا هو بحر هادئ، لكن في التواريخ الرسمية، هو "نقل استراتيجي" نموذجي. كحاكم ليي، كانت أساليبه شديدة القسوة. من ناحية، تحت راية الاستقرار المحلي، أعدم علنًا أقطابًا متحدين لتأكيد سلطته؛ ومن ناحية أخرى، كسب القلوب من خلال الترويج القوي للمدارس، محولاً يي إلى جنة الخوخ وسط الفوضى حيث "حتى الأشياء المفقودة على الطريق تجد طريقها إلى أصحابها". علاوة على ذلك، استجابة للنبوءة "أولئك الذين يحلون محل هان يسكنون في مرتفعات دانغ"، كلف سرًا بموكب عربة يليق بإمبراطور، وكانت طموحاته موجهة مباشرة نحو العرش الأعلى.

من الجدير بالذكر أنه في سيناريو حياة هذا "الحكيم الأعلى لهان اللاحقة"، يدخل ليو بي إلى المسرح في وقت مبكر. عندما كان ليو بي، لا يزال قريبًا إمبراطوريًا مفلسًا ينسج الصنادل لكسب عيشه، نهض بالأسلحة في قيادة تشو إلى جانب غوان يو وتشانغ فاي، كان أول من اعترف بهذا "القريب" هو ليو يان. لم يقدم فقط الأموال والإمدادات، بل أوصى ليو بي كقائد فرقة منفصلة ومستشار بينغيوان. ما لفت انتباه ليو يان كان الروح البطولية لليو بي، المتميزة عن الكونفوشيوسيين الفاسدين، وراية "استعادة أسرة هان" العظيمة. ربما، وهو يلمس رداء تنين بمقاييس إمبراطورية، كشف لمساعديه: "شواندي هو تنين بين الرجال. لو امتلك أبنائي القليل من ذلك - لأصبحت مقاطعة يي آمنة." لقد سعى إلى أمضى سيف لتعزيز أساسه، ولم يحلم أبدًا أن هذه الجوهرة الخام التي اختارها بنفسه ستلتهم لاحقًا إرث عائلته كصياد نهائي.

ومع ذلك، فإن سوء التقدير القاتل الوحيد لهذا "الحكيم الأعلى لهان اللاحقة" يكمن في إغفاله لإدارة المخاطر. واثقًا تمامًا من نشراته الخاصة، ترك ابنيه الأكبر والثاني كرهائن في تشانغآن المليئة بالأخطار. في النهاية، تم اجتياح كل منهما وقتلهما في انقلاب قصر؛ عند سماع النبأ، أصيب ليو يان بصدمة شديدة تسببت في نمو خبيث على ظهره، وانتشر السم حتى وفاته. والأكثر سخرية، أن الأساس الذي بناه طوال حياته وقع لخليفته ليو تشانغ ضعيف الشخصية، ليصبح في النهاية مهر عرس لليو بي. عندما دخل ليو بي شو، رفع نفس راية "قريب عشيرة هان الإمبراطوري" التي رفعها ليو يان ذات مرة. تبيض الرواية "فضيلة" ليو بي من خلال طلاء طموحات ليو يان بالأسود الكامل، وتصويره كمدافع متواضع عن الوضع الراهن. لكن هذه "الشخصية الإضافية" التي تم رفضها بضربة واحدة كانت حقًا أول قطعة دومينو أسقطت هان الشرقية. لقد ادعى النصر على خط البداية، فقط ليسقط بسبب لحظة قصيرة من الجشع والرضا عن النفس قبل خط النهاية، تاركًا للأجيال اللاحقة تنهدات وتخيلات لا نهاية لها.

القائد الأعلى المقلل من قيمته في أواخر هان، الرجل الذي سحق تمرد العمائم الصفراء لكنه أدى في النهاية إلى سقوط السلالة التي خدمها

عند الحديث عن بداية العصر الفوضوي في نهاية هان اللاحقة، يفكر الكثيرون فورًا في تمرد العمائم الصفراء بقيادة تشانغ جياو، وأمراء الحرب الذين اغتنموا الفرصة لتوسيع سلطتهم، ودونغ تشو الذي سار إلى لويانغ وألقى بالبلاط في حالة من الفوضى. في "رومانسية الممالك الثلاث"، يتم توزيع الفضل في قمع العمائم الصفراء بسخاء على الحكام المستقبليين مثل ليو بي وتساو تساو وسون جيان. اسم هوانغ فو سونغ يُذكر بإيجاز فقط كقائد صغير، مع ظهورات قليلة وتصويره كشخصية عادية غير ملحوظة. ومع ذلك، عندما نتعمق في التاريخ الرسمي لـ"كتاب هان اللاحقة" وتعليقات باي سونغتشي، فإن الحقيقة هي العكس تمامًا. كان هوانغ فو سونغ قمة القيادة في عصر هان المتأخر، وإبادة القوة الرئيسية للعمائم الصفراء استندت بالكامل إلى جهوده الفردية. حتى دونغ تشو وتساو تساو خدموا تحت قيادته في ذلك الوقت. كان جنرالًا مخلصًا بلا نظير، ومع ذلك، في النهاية، لم يستطع سوى المشاهدة بعجز بينما انهارت سلالة هان العظيمة التي أقسم على حمايتها. كانت حياته مليئة بالندم والاستياء.

بسبب تأثير "الرومانسية"، هناك ميل للتقليل من شأن تمرد العمائم الصفراء، لكن هذا خطأ فادح. كانت سلالة هان في ذلك الوقت فاسدة فسادًا متعفنًا، وكان الناس منهكين. عندما نهض تشانغ جياو، استجاب مئات الآلاف من الأتباع، وسقطت مقاعد الولايات والمقاطعات الواحدة تلو الأخرى، واندلع الذعر في البلاط. أولى القوات الإمبراطورية التي تم إرسالها أبيدت، وتم أسر الجنرالات يمينًا ويسارًا، ولم يستطع أحد إيقاف زخم العمائم الصفراء. في هذه الأزمة، وقع العبء الثقيل لتهدئة الفوضى على عاتق هوانغ فو سونغ. في "الرومانسية"، يتم التعامل مع معركة تشانغشي باستخفاف، ويتم المبالغة في مآثر فريق ليو بي الثلاثي، لكن في التواريخ الرسمية، كانت هذه معركة يمكن تسميتها "تأليه" هوانغ فو سونغ. محاصرًا في تشانغشي في ظروف قاسية للغاية، بدون تعزيزات وإمدادات شبه منفذة، كان الجميع مقتنعين بالهزيمة. لكن هوانغ فو سونغ وحده بقي هادئًا. لقد لاحظ كيف أقام العدو معسكرهم في العشب الطويل وأرخوا حذرهم، ثم شن هجومًا ناريًا حملته رياح الليل، واقتحم شخصيًا ليقطع عشرات الآلاف من الأعداء ويحطم قلب العمائم الصفراء في ينغتشوان. غيّر هذا النصر مجرى المعركة تمامًا.

في المعارك الحاسمة اللاحقة في غوانغزونغ وشياغويانغ، أمسك هوانغ فو سونغ بزمام الأمور مرة أخرى. حتى بعد موت تشانغ جياو، حافظ شقيقاه تشانغ باو وتشانغ ليانغ على جيش هائل، وعلى الرغم من إرسال لو تشي ودونغ تشو لإخضاعهما، فقد تعثر كلا الجهدين. عندما استبدلهما البلاط بهوانغ فو سونغ، تجنب المعارك الحاسمة المتهورة، وتظاهر عمدًا بالضعف لخفض يقظة العدو. ثم، اغتنامًا للفرصة، شن غارة ليلية، مما أسفر عن مقتل تشانغ ليانغ وتفكيك قلب العمائم الصفراء في خبي. وتبعه بمطاردة وهزيمة تشانغ باو، مما أنهى التمرد تمامًا. بعبارة أخرى، بدون هوانغ فو سونغ، لكانت هان الشرقية قد هلكت تمامًا في فوضى العمائم الصفراء. تتعمد "رومانسية الممالك الثلاث" التقليل من دوره من أجل حبكتها اللاحقة لتجزئة أمراء الحرب، وتصوره كجنرال عجوز متواضع خالٍ من المكر. ومع ذلك، وفقًا للمصادر التي استشهد بها باي سونغتشي، لم تكن البراعة العسكرية لهوانغ فو سونغ استثنائية فحسب، بل كانت شخصيته وبصيرته تبرزان مثل تيار صافٍ بين أمراء الحرب في أواخر هان.

وُلد في عائلة عسكرية، وكان نزيهًا بشكل لا يفسد، ولم تكن له أي صلات بالخصيان على الإطلاق. على الرغم من حصوله على مآثر لا مثيل لها وامتلاكه سلطة عسكرية هائلة وشهرة، عندما حثه مساعدوه قائلين: "في هذا العصر المضطرب، حان الوقت لاغتنام السلطة الحقيقية والسيطرة على العالم السياسي"، رفض ذلك تمامًا. كان دونغ تشو أو يوان شاو سينتهزون الفرصة لاقتطاع مناطق نفوذهم الخاصة، لكن هوانغ فو سونغ تمسك بثبات بولائه لبيت هان، وتخلى طواعية عن جزء من قيادته، وتمسك بحدود كونه تابعًا. ومع ذلك، أصبحت هذه "الولاء الصلب غير المرن" أكبر عيوبه، مما عجل في النهاية بسقوط السلالة. لاحقًا، عندما اندلع تمرد في مقاطعة ليانغ، قاتل هوانغ فو سونغ ودونغ تشو معًا، لكن فلسفاتهم التكتيكية تصادمت بعنف. بينما أعطى هوانغ فو سونغ الأولوية للتقدم المطرد وأبقى على قواته، فضل دونغ تشو الاعتداءات المتهورة وكان طموحًا بلا رحمة. أدى هذا الخلاف إلى إقالته بعد الحرب وتجريده من ألقابه بناءً على افتراءات الخصيان، وقبل عقوبته الهادئة دون مقاومة.

بعد فترة وجيزة، عندما استولى دونغ تشو على لويانغ، حكم بطغيان مطلق، فذبح مسؤولي البلاط وخرب القصر. وسط الغضب العالمي الذي أسكته الخوف، كان هوانغ فو سونغ متمركزًا في موقع رئيسي مع ثلاثين ألف جندي من النخبة. كانت فرصة مثالية لضرب دونغ تشو واستعادة هان. توسل مرؤوسوه مرارًا لرفع السلاح، لكن هوانغ فو سونغ، الذي كان دائمًا يضع في اعتباره "التمييزات الصحيحة بين الحاكم والتابع"، تردد خوفًا من أن الحرب ستلتهم العالم. في النهاية، أطاع أمر الاستدعاء من دونغ تشو، وسافر وحده إلى لويانغ رغم علمه بالخطر، وسقط في براثن عدوه ونجا بصعوبة بحياته. لو تصرف بحسم في ذلك الوقت،

مستفيدًا من هيبته وقواته للاتحاد مع الموالين، لكان قد أزال دونغ تشو استباقيًا. في هذه الحالة، كان من الممكن تجنب تجزئة أمراء الحرب والفوضى المدمرة للعالم لاحقًا. بعد اغتيال دونغ تشو، تشكل عصر الصراع بشكل كامل، حيث انفصل الحكام والمفتشون لتحدي سيطرة البلاط. في سنواته الأخيرة، لم يستطع هوانغ فو سونغ سوى المشاهدة بعجز بينما سلالة هان التي خاطر بحياته للدفاع عنها تتفتت إلى خمس، وأمراء الحرب يمزقون بعضهم البعض، ويعاني الناس مرة أخرى في لهيب الحرب. على الرغم من إعادته لاحقًا إلى مناصب رفيعة مثل القائد الأعلى ووزير الأشغال بين الوزراء الثلاثة الدوقات، إلا أنه لم يمتلك سلطة حقيقية، وأصبح مجرد مراقب في العصر المضطرب. في عام 195، غادر بطل قمع الفوضى الأبرز هذا العالم في عزلة وندم مرير.

[المرأة الشرسة في أواخر هان، تشاو إي: تحملت لأكثر من عقد للانتقام لأبيها، وأخيراً قتلت عدوها في السوق - ماذا كانت النتيجة المضطربة؟]

في "سجلات الممالك الثلاث: كتاب وي: سيرة بانغ يو"، يسجل تشن شو ما يلي بنثره البليغ المميز: "في البداية، قُتل جد يو لأمه تشاو آن على يد لي شو من نفس المقاطعة. مات أعمام يو (إخوة تشاو إي) - الثلاثة جميعًا - الواحد تلو الآخر بسبب وباء، مما أسعد عشيرة لي شو بأكملها. تحملت والدة يو، إي، المرارة اللاذعة لعدم قدرتها على الانتقام لأبيها. اختبأت في عربة ذات ستائر، وأخفَت سيفًا في كمها، وفي وضح

النهار طعنت لي شو حتى الموت أمام جناح المقاطعة. وبمجرد أن فعلت الفعل، سلمت نفسها بهدوء في مكتب المقاطعة، وبدون أي تغيير في تعبيرها، أعلنت: 'لقد انتقمت لأبي. من فضلك، دعيني أواجه عقوبتي.'"

وراء هذه الرواية الموجزة يكمن العزم الذي لا يلين لدى المرأة الشرسة في أواخر هان من جيوتشوان، تشاو إي (بانغ إي بالزواج)، والذي تمسكت به لعقد كامل.

كان أصل الثأر يكمن في ضحكات قاسية لأحد الأقطاب المحليين من نفس القرية، لي شو. كان والد تشاو إي، تشاو جونان، قد كسب عداوة لي شو بسبب شجار تافه، ونُصب له كمين وقُتل على جانب الطريق. في ذلك الوقت، كانت تشاو إي قد تزوجت حديثًا من عائلة بانغ، لكن عندما سمعت بالخبر المأساوي، غلى دمها غضبًا. "كيف يمكنني أن أسمي نفسي إنسانة إذا لم أنتقم لأبي؟" مع أشقائها الثلاثة الأصغر، أقسمت على الانتقام وشحذت نصلها. لكن القدر كان قاسيًا. وباء اجتاح منطقة ليانغتشو أودى بإخوتها الثلاثة واحدًا تلو الآخر، تاركًا عائلة تشاو بدون وريث ذكر.

لم تكن أجراس الجنازة قد توقفت عن الرنين حتى أقام العدو، لي شو، وليمة احتفالية. "كل رجال عائلة تشاو ماتوا وذهبوا. امرأة فقط لا تخاف!" تفاخر، مما جعله يخفف حذره. لكن كراهية تشاو إي كانت قد تسربت إلى عظامها خلال تلك السنوات العشر الطويلة. باعت أغراضها المنزلية للحصول على حصان سريع وسيف مشهور، كرست أيامها ولياليها لتدريب الرماية على ظهور الخيل. حتى عندما نصحتها جارتها، السيدة شو، قائلة: "لي شو مقاتل متمرس. كيف يمكن لامرأة وحيدة أن تأمل في مجاراته؟" ردت تشاو إي بالدموع: "عداوة الوالدين جريمة واسعة مثل الفصل بين السماء والأرض. طالما أن لي شو يعيش، ليس لدي الحق في الاستمرار في العيش!"

في السنة الثانية من غوانغهي (179 ميلادي)، وصلت اللحظة أخيرًا. كمين تشاو إي بجانب جناح المقاطعة، انحنت في عربتها، تنتظر الوقت حتى مرور حاشية لي شو. ثم، في ومضة، اندفعت بحصانها إلى الأمام وأدارت سيفها. بينما كان لي شو يتراجع في صدمة ويحاول الفرار، طاردته بعزم لا يلين. قطعت سيفها في حصانه، مما جعله يتدحرج إلى خندق مع راكبه. تخلت عن نصلها المحطم، وقفزت عليه وخنقت حلقه بيديها العاريتين، وأخذت ثأرها أخيرًا.

بعد ذلك، رفعت تشاو إي رأس العدو المقطوع وشقت طريقها ببطء إلى مكتب المقاطعة. أخبرها قاضي الوفرة، يين جيا: "إخلاصك البنوي وروحك الشرسة يحركان حتى الآلهة والأرواح. أفضل التخلي عن منصبي بدلاً من رؤيتك تعاقبين"، محاولًا السماح لها بالذهاب حرة. لكن تشاو إي رفضت بعزم لا يتزعزع: "ثني القانون والتسامح مع حياتي يتعارض مع نيتي الحقيقية. جريمة أخذ حياة لا يمكن التغاضي عنها بموجب القانون. من فضلك، فرض العقوبة علي."

بشكل معجزة، بينما كانت تعاني في السجن، وصل مرسوم عفو إمبراطوري من البلاط، وتم إطلاق سراحها. في السنوات التالية، أكسبتها أفعالها إشادة تجاوزت العصور. قدم حاكم ليانغتشو وقائد جيوتشوان التماسًا مشتركًا إلى العرش، وأصدر الإمبراطور لينغ من هان اللاحقة مرسومًا بنصب لوح حجري، ونقش حروف "بنوية" و"شرسة" على بوابة عائلة تشاو. قدم لها تشانغ هوان، مستشار المحظورات (أحد "أضواء ليانغتشو الثلاثة")، عشرين لفة من الحرير إعجابًا بروحها. كما رثى فو شوان من غرب جين: "امرأة شرسة واحدة خير من مائة ابن" - حكم يصمد حتى يومنا هذا.

بعد أن حققت ثأرها، عادت تشاو إي إلى وطنها وكرست نفسها لخدمة والدتها حتى نهاية حياتها الطبيعية.
ارتقى ابنها، بانغ يو، إلى رتبة حاكم البحر الغربي تحت حكم وي، وكلف البلاط رسامًا لإنشاء صور للأم والابن، تمجد فضيلتهما. حتى الآن، بعد ألفي عام، تعيش تشاو إي كما صورت في "سجلات الممالك الثلاث" ليس فقط كثائرة، بل كرمز أبدي يجسد الفضائل الكونفوشيوسية "التقوى البنوية" و"العدالة"، وهي أسمى مُثُل عصرها.

الانتقام، القصاص، الاستراتيجية ... هل تعرف بطلات "رومانسية الممالك الثلاث"؟

عندما نسمع "رومانسية الممالك الثلاث"، نميل إلى تخيّل الحكام والأباطرة، والقادة المشهورين، والأبطال الشجعان، والاستراتيجيين اللامعين، لكن وراء العالم الذي يهيمن عليه الذكور والمصوّر بشكل حيوي في السجلات التاريخية، كانت هناك نساء عشن بنفس الحيوية - إن لم يكن أكثر. إلى جانب الشخصيات المعروفة مثل دياوتشان، والأختين تشياو، وسون شانغشيانغ، أخفت العصور المضطربة العديد من البطلات الخفيات.

حتى داخل روايات "رومانسية الممالك الثلاث"، توجد لمحات عن هؤلاء النساء منقوشة هنا وهناك. على الرغم من وصفهن بضربات متناثرة، إلا أنها تكشف عن شخصيات استثنائية تتمتع بالحكمة والشجاعة والفضيلة والموهبة.

هذه المرة، سنسلط الضوء على أربع منهن - السيدة بيان (بيان شي)، والسيدة تشن (تشن شي)، وتشاو إي (تشو غا)، وشين شيانييغ (شين كين إي) - ونستكشف كيف نحتنّ لأنفسهن حياة في الفوضى تنافس حتى حياة الرجال.

السيدة بيان: "الإبرة الثابتة" التي دعمت تساو تساو

عُرف تساو تساو كرجل شديد الريبة، ومع ذلك كان دائمًا يظهر احترامًا عميقًا تجاه السيدة بيان. وُلدت في خلفية متواضعة كابنة لفنانة ترفيهية، وأصبحت محظيته في سن العشرين. أثناء فوضى تمرد دونغ تشو، عندما فر تساو تساو من العاصمة وبدأ أتباعه في التشتت، تقدمت السيدة بيان بمحض إرادتها، وحشدت القوات، وحافظت على القوة الأساسية التي ستعينه.

قدّرت الاقتضاء، وتجنبت التباهي باختيار زينة متواضعة فقط. كما ربّت أبناءها - تساو بي، وتساو تشي، وتشاو تشانغ - ليصبحوا رجالًا استثنائيين.

من محظية، ارتقت إلى ملكة، ثم إمبراطورة أرملة، وأخيرًا إمبراطورة أرملة كبرى. من خلال منظورها العظيم وفضيلتها، حققت السيدة بيان أعلى درجات التحول في المصير.

السيدة تشن: امرأة موهوبة شتتها العصور المضطربة

وُلدت في عائلة مسؤول، وكانت ذكية منذ سن مبكرة وملمّة بالآداب. وسط مجاعات العصر المضطرب، أقنعت عائلتها بتوزيع الحبوب على أهل بلدتها، مظهرة قلبًا من الرحمة على الرغم من صغر سنها. بعد زواجها من عائلة تساو، كرست نفسها للتقوى البنوية تجاه حماتها، السيدة بيان، مما أكسبها الثناء كـ"زوجة بنية حقيقية". جمالها الذي لا يضاهى كسبها حصرية حب تساو بي، وأنجبت له تساو روي (الإمبراطور مينغ لوي لاحقًا) وأميرة دونغشيانغ.

لكن رياح القصر الداخلي تحولت بسرعة؛ مع اكتساب السيدة قو للحظوة، وقعت السيدة تشن تدريجيًا في عدم الرضا. وفقًا لـ"رومانسية الممالك الثلاث"، حُكم عليها بالإعدام (أمرت بالانتحار) للتعبير عن شكواها، بينما تشير تعليقات باي سونغتشي إلى الافتراء من القصر الداخلي كسبب لسقوطها. تصف السجلات نعشها: "شعرها غير مرتب على وجهها، وفمها محشو بالقش" - نهاية مفجعة.

في الأجيال اللاحقة، ارتبطت رومانسيًا بـ"قصيدة إلهة نهر لو"، لكن ذلك ليس سوى تأبين العالم لهذه المرأة الطيبة. موهوبة بالفضيلة والموهبة، كانت في النهاية مجرد زهرة عابرة للعصر المضطرب.

تشاو إي: الفارسة التي انتقمت لأبيها

امرأة عادية لا مكانة نبيلة لها، نقشّت اسمها في التاريخ من خلال فعل واحد من البر البنوي. قُتل والدها على يد زعيم الحرب لي شو، ومات إخوتها الثلاثة الأصغر جميعًا بسبب الأوبئة. سخر لي شو علنًا قائلاً: "عائلة تشاو ليس لها أبناء." تحملت تشاو إي لسنوات قبل أن تواجه عدوها في السوق بخنجر مخفي، وتقتله. ثم سلمت نفسها، رافضة التهرب من القانون الذي خرقته.

المسؤولون المحليون، متأثرين بفعلها الصالح، سعوا للإفراج عنها حتى على حساب مناصبهم. في النهاية، عفا عنها البلاط ونصب لوحًا حجريًا على شرفها.

كانت "فروسيتها" تكمن في عزمها البنوي على الانتقام لأبيها، واستعدادها لتحمل المسؤولية، والتزامها بالحد الأدنى - رفض الفرار أو تجاوز القانون.

روحها التي لا تلين أحرجت العديد من الرجال.

شين شيانييِنغ: أعظم حكيمات الممالك الثلاث

ابنة الوزير وي شين بي، كانت مستبعدة من المسرح السياسي، لكن بصيرتها تجاوزت بصيرة العديد من الرجال. عندما تم تعيين تساو بي وليًا للعهد وفقد رباطة جأشه في فرح غامر، تنهدت شين شيانييِنغ، التي كانت في العشرينات من عمرها: "يجب أن يكون ولي العهد موقرًا وحذرًا. مثل هذا الغطرسة ينذر بالسوء لمستقبل وي." أثبتت كلماتها نبوءتها.

خلال اضطراب القبر المرتفع، قيّمت الموقف بهدوء ونصحت أخيها: "ركز على واجباتك وتجنب الفصائل،" مما أنقذ عشيرتها من الدمار. عندما سار تشونغ هوي نحو شو، توقعت تمرده الحتمي وأوصت ابنها بصرامة: "تمسك بالرحمة واللطف،" مما ضمن هروبه الآمن.

عاشت عبر سلالات هان ووي وجين، وتوفيت عن عمر 79 في كامل عمرها الطبيعي.

مدحتها الأجيال اللاحقة: "حكمة المرأة وبصيرتها يمكن أن تتفوق حتى على الرجال." كانت حقًا أكثر المفكرين وضوحًا في العصر المضطرب.

هؤلاء النساء الأربع جسّدن كل منهن الفضيلة الحكيمة، والمأساة، والعزم الشرس، والحكمة العميقة، ونقشن بصمة أنثوية مميزة في الملحمة الذكورية الكبرى للممالك الثلاث.

لم يحملن السلاح في المعركة أبدًا، لكن من خلال فضيلتهن وشجاعتهن وفطنتهن، حافظن على قطعة من السماء وسط الاضطراب.

لقراءة "رومانسية الممالك الثلاث" هو متابعة غزو الأبطال للعالم - وفي الوقت نفسه، الكشف عن القوة الخفية لمثل هؤلاء النساء، المخبأة في هوامش التاريخ.

المصير الحتمي للجنرال الشهير في خبي: لماذا ظل تشانغ خه "قائد إطفاء" تساو وي طوال حياته

وسط الرمال الصفراء التي لا نهاية لها على الجبهة الغربية لتساو وي، كان ظهور تشانغ خه يحدث دائمًا في أكثر اللحظات خطورة. هذا الجنرال الشهير، الذي سحق ما سو في جيتينغ وقلب مجرى حملة هانتشونغ، كان مخضرمًا في عهدين من الحكم، وخافه ليو بي وتألم تشوغه ليانغ من أجله؛ على الرغم من صعوده إلى رتبة جنرال العربات والفرسان الرفيعة، لماذا تم إبعاده باستمرار عن القيادة العليا للجبهة الغربية، وأجبر على لعب دور "قائد الإطفاء" الساخر - وهو منصب كان مرعبًا ومحسودًا في نفس الوقت؟ تكمن الحقيقة القاسية وراء ذلك ليس في أي نقص في قدراته، بل متجذرة بعمق في التحذير الهيكلي شبه المهووس لعشيرة تساو وي الإمبراطورية تجاه "قوة عسكرية أجنبية". بدأت مأساة تشانغ خه باستسلامه الذي غيّر التاريخ في معركة

غواندو. كشخصية مركزية بين "جنرالات خبي الخمسة" ليوان شاو، قاد قوات خبي الخاصة السليمة في الانشقاق إلى تساو تساو، مما وجه ضربة حاسمة جلبت النصر - لكنه في نفس الوقت وسمه بوصمة سياسية "على غرار هان شين". اعتز تساو تساو بمواهبه، لكنه لم ينس أبدًا أن تشانغ خه كان شخصية عدو رئيسية ذات يوم؛ هذا الأصل كمنشق جعل الثقة غير المشروطة مستحيلة منذ البداية، في عصر - أواخر هان إلى وي جين - الذي كان يقدر الروابط العشائرية والأنساب، على عكس جنرالات العشيرة مثل تساو رين أو تساو تشن، من تشياو وبي (مسقط رأس تساو تساو). عندما سقط شياهاويوان في حملة هانتشونغ، حث غو هواي والقوات تشانغ خه على تولي القيادة العليا المؤقتة، مما أدى إلى استقرار جبهة كانت على شفا الانهيار بأعجوبة. ومع ذلك، فإن هذه اللحظة المجيدة بالذات أثارت أكثر أعصاب تساو تساو حساسية. منح السلطة العليا الرسمية على الجبهة الغربية لجنرال أجنبي بهذه المكانة الساحقة في ساحة المعركة، يقود قوات خاصة شبه مستقلة، كان يُعتبر بمثابة زرع قنبلة موقوتة يمكن أن تهز تساو وي نفسه - خارج نفوذ شو هان. وهكذا، بينما أمر تساو تساو بالتمركز في تشنتشانغ، تردد حتى النهاية في اتخاذ تلك الخطوة الأخيرة من التعيين الرسمي. في عهود تساو بي وتساو روي، تطور هذا التحذير إلى استراتيجية سياسية منظمة. عند اعتلائه العرش، كانت أولوية تساو بي الأولى هي المركزية؛ قمع بوحشية أفراد العشيرة وأمراء الحرب الإقليميين، وتحول بدلاً من ذلك إلى طبقة النبلاء العلماء في ينغتشوان كدعامة إمبراطورية للدعم. امتلك تشانغ خه القيادة الفعلية على الجبهة الغربية، بدعم من ولاء الضباط المخضرمين مثل غو هواي، لكن علاقاته ببلاط تساو وي كانت علاقة رفيعة قائمة على المصالح، تفتقر إلى الوحدة السياسية العميقة التي تشكلت من خلال الزواج أو الإرشاد أو روابط الخريجين - كما هو الحال مع سيما يي. تحت حكم تساو روي، لبناء التوازن الثلاثي الضروري للسلطة، كان المطلوب موالين مطلقين مثل وانغ لينغ أو غوتشو جيان كمساعدين مقربين - وليس جنودًا محترفين "ذوي قيمة عالية ولكن نسب غامض" مثل تشانغ خه. في عام 231، عندما مرض القائد الأعلى تساو تشن مرضًا خطيرًا واهتزت الجبهة الغربية على حافة الأزمة، كانت تلك اللحظة التي اقترب فيها تشانغ خه من قمة السلطة. ومع ذلك، قام تساو روي، وهو يزن موازين المصلحة، باختيار "نقل" سيما يي جواً على مضض. في رقعة ألعاب السلطة في ذلك العصر، لمواجهة تشانغ خه وفصيلة خبي المخضرمة من ورائه مع ضمان بقاء الجيش الضخم للجبهة الغربية تحت سيطرة البلاط بقوة، لم يكن هناك شخصية تحمل الوزن السياسي المطلوب سوى سيما يي، زعيم نخبة ينغتشوان. كلما تضخمت القيمة العسكرية لتشانغ خه، زاد حجم التهديد المحتمل الذي يشكله على العرش. ما سعى إليه حكام تساو وي لم يكن جنرالاً منتصرًا، بل قائدًا مطيعًا تمامًا لا يحلم أبدًا بالتمرد. عباءة "قائد الإطفاء" التي فرضت على تشانغ خه لم تكن سوى القفص الذي صنعته العشيرة الإمبراطورية بدقة - جهاز يسمح له بإخماد الأزمات ولكن لا يستخدم أبدًا موارد كافية للإطاحة بالنظام. في النهاية، في معبر موغوان بعد معركة هوتشنغ، سقط تشانغ خه بسهام تشوغه ليانغ. كان غروب شمس جنرال عظيم، وفي نفس الوقت النتيجة الحتمية التي قادتها سياسة تساو وي المليئة بالريبة. سباق حياته اندفع بلا قيود عبر العصور، لكن في النهاية، تفوقت عليه رياح العصر من التحيز ضد المنشقين والحسابات الدوامة.